أدب الأطفال عند كامل الكيلاني من الترفيه إلى ترسيخ القيّم "ليلى والذئب" و"في بلاد العجائب" أنموذجا

Children's Literature by Kamil Kilani: From Entertainment to the Consolidation of Values "Little Red Riding Hood' and 'In Wonderland' as Case Studies"

نور الهدى غرابة[1] *

Nor El Houda Gheraba[1]

مخبر تطبيقات الذكاء الاصطناعي في المعالجة اللغويّة وتحليل الخطاب.

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)

University of Mohamed Kheider Biskra (Algeria)

Norelhouda.gheraba@univ-biskra.dz

تاريخ الإرسال: 2026/03/15	تاريخ القبول: 2026/06/16	تاريخ النشر: 2026/09/02

ملخص البحث

أصبح أدب الأطفال مجالا خصبا يساهم في تشكيل شخصية الطّفل تربويا ومعرفيا، ولاسيّما القصصيّ منه، لما له من قدرة على دمج الترفيه والإمتاع بالتربية والتّوجيه. والقصّة من الألوان الأدبية المحفزة لخيالات الطفل، فهي تتميّز بقدرتها على شدّ انتباهه والتفاعل مع عالمه النفسي والمعرفي بأساليبها السردية المشوقّة، ولم يعد الغرض منها التسلية فقط بل أضحت تساهم في تطوير الوعي التربوي والاجتماعي، وتنمية الحس الجمالي لدى الطفل.

تركز هذه الورقة البحثية على إظهار وظيفة أدب الأطفال القصصيّ، وانتقاله من وسيلة ترفيه إلى أداة فعالة في التنشئة التربوية، من خلال تحليل قصص كامل الكيلاني الموجهة للأطفال وقد اخترنا لهذه الدّراسة قصّتي "ليلى والذئب" و"في بلاد العجائب".

الكلمات المفتاحية: الأدب، الأطفال، القصّة، الشّخصية، الأسلوب، القيّم.

Abstract:

Children's literature has become a fertile field that contributes to shaping children's personalities educationally and cognitively, particularly narrative literature, due to its ability to integrate entertainment and enjoyment with education and guidance. Stories are a literary genre that stimulates children's imaginations; They are distinguished by their ability to capture their attention and engage with their psychological and cognitive

* نور الهدى غرابة، الإيميل: Norelhouda.gheraba@univ-biskra.dz

world through their engaging narrative styles. Their purpose is no longer merely entertainment; they have also become contributors to the development of educational and social awareness and the enhancement of children's aesthetic sense.

This research paper focuses on demonstrating the function of children's narrative literature and its transition from a means of entertainment to an effective tool in educational upbringing through an analysis of Kamel KILANI'S stories for children. For this study, we have chosen the stories: "Layla Wa Dhiab" and "Fi Bilad El Adjaeb".

Key words: Literature, Children, Story, Character, Style and Values.

المقدمة:

يُعدّ أدب الأطفال من أبرز الفنون الموجّهة لهذه الفئة العمرية؛ حيث كرس عدد من الأدباء جهودهم لخدمة الأطفال بما يناسب مستوياتهم الفكرية والنفسية والعمرية. وتعدّ مرحلة الطفولة أولى مراحل حياة الإنسان والأكثر نقاءً صفاءً، فهي فترة تتميّز بالبراءة والأحلام البسيطة، مما يجعل إدماج الأطفال في الحياة العملية والعلمية ضرورة لا غنى عنها، بهدف إعدادهم لمستقبلهم، وقد شهدت الساحة الأدبية ظهور أعمال مخصّصة لعالم الطّفل مثل: القصص، المسرحيات، والرّسوم الكرتونية التي تساهم في تنمّية الأطفال ثقافيا وأخلاقيا، وتعمل على توجيه سلوكياتهم، وتشجيعهم على طلب العلم، وتعزيز انتمائهم للوطن وتراثه وحضارته. وفي هذا السياق برز العديد من الأدباء الذين ساهموا في ترسيخ هذا النوع الأدبيّ، ونشره في المجتمعات العربية.

ركّز الكاتب المصري "كامل الكيلاني" على صياغة القصص بلغة سهلة وأسلوب بسيط يتناسب مع عمر الأطفال ومستواهم الفكري، وكانت مواضيعه قريبة من مُيول الطفل وأشياءه المحببة. كتب للأطفال في مختلف المراحل العمريّة بدءا من الطفولة إلى الشباب، واعتمد على رؤية شاملة جمع فيها بين القيم الأخلاقية والدينية والتربوية والخيال والترفيه.

من هنا، كان لزاما على المؤلفين الذين اختاروا الإبداع في هذا النوع مراعاة معايير وشروط الكتابة الموجهة للطفل، بهدف تقديم إنتاج ينسجم مع تطوره الفكري، وينمّي قدراته الإبداعية. ويتحقق ذلك من خلال الانفتاح على علم النفس، وفهم الأدوات التي تثير شغفه وفضوله، إلى جانب استثمار القيم الفنية والجمالية.

في هذه الورقة البحثية، نحاول تسليط الضوء على الأسس الأولية لدراسة هذا اللون الأدبي، بدءا من مناقشة النشأة والمفهوم، وهي مواضيع تناولتها دراسات عديدة لمحاولة تأطير الجانبين الإبداعي والنقدي في هذا الميدان. كما نهدف إلى تحديد أبرز المعايير الفنية والموضوعية التي تميّزت بها قصص "الكيلاني"، مع الإشارة إلى أهمّ القضايا التي تناولها. كما نسعى إلى معالجة مجموعة من الإشكاليات الرئيسة، من بينها: ما هي أبرز المراحل التّأسيسية التي شهدها أدب الطفل فيما يتعلق بنشأته وتطور مصطلحه؟ وهل يمكن تصنيف كل ما يُكتب للأطفال على أنه أدب مناسب لفئتهم العمريّة؟ إلى جانب ذلك، نتساءل: هل نجح كامل الكيلاني في الالتزام بخصائص الكتابة الموجّهة للأطفال؟ وما مدى انسجام قصصه مع خصوصيات عالم الطفولة ومتطلباتها؟

أولا- مفهوم أدب الأطفال:

أدب الأطفال فرع من فروع الأدب يعنى بإنتاج النصوص الأدبية التي تخاطب الأطفال، وتناسب خصائصهم النفسية والعقلية واللغوية في مراحل نموّهم المختلفة، ويتضمّن مجموعة من الأشكال الأدبية مثل (القصص، الحكايات، المسرحيات الأشعار، والأناشيد...)، وهو وسيلة تربوية وتثقيفية وترفيهية تهدف إلى الترفيه والتعليم والتوجيه، وتنمّية الخيال لدى الطفل وتوسيع مداركه وتعزيز القيم الأخلاقية والاجتماعية لديه، من خلال أساليب تعتمد على السرد والوصف والحوار، والصور الجمالية. تسعى إلى ترجمة الحياة ورسم صورها، وإثارة العواطف، وتعزيز وعي المتلقي. ومن هذا المنطلق، لا يختلف أدب الأطفال في جوهره عن الأدب بشكل عام، إلا أنّه مُخصّص لفئة معينة تتميز بقدرات عقلية ونفسية وفكرية تختلف عن فئة البالغين وبناءً على ذلك سوف نستعرض مجموعة من التعريفات:

يعرّفه الباحث "مصطفى الصاوي الجويني" بأنّه تعبير مزخرف ذو مضمون خيالي أو وجداني" (الجويني، د.ت، صفحة 19)، ومن الدراسات الجادة في هذا الميدان ما قدمه "محمد محمود رضوان الذي يرى بأنه النص المكتوب بأسلوب جيد يوجه للأطفال لغرض إحداث المتعة في نفوسهم، ويضم كل ما يقدم لهم سواء كان شعرا أو نثرا، أو تعبيرا شفهيا أم تحريرا ويدخل في هذا المفهوم قصص الأطفال ومسرحياتهم وأناشيدهم (أحمد، 2006، صفحة 47)، من خلال هذين التعريفين نجد أن أدب الأطفال يعدّ فنّا متكاملا يجمع بين جودة اللغة وقوة التأثير النفسي والجمالي، ويشمل جميع الأشكال التعبيرية الموجّهة للطّفل سواء كانت مكتوبة أم شفهية، مما يجعله وسيلة تعليمية وترفيهية وثقافية في آن واحد.

أمّا الباحث "هادي الهيتي" فيعرفه على أنّه مجموعة من الإنتاج المكتوبة الموجّهة للأطفال، والتي تأخذ بعين الاعتبار خصائصهم "ذلك الأدب المكافئ لأدب الكبار الذي يتبنى صوت الطفل وقضاياه" (الهيتي، 1997، صفحة 71)، يشير هذا التعريف إلى أن أدب الأطفال مماثل لأدب الكبار ولا يقلّ أهمّية عليه، فهو أيضا يكتب بجدية وعمق فكري ووعي، حيث يراعي عقلية الطفل ويحترمها، ويعبّر عنها بأدوات فنية عالية، والمقصود هنا أيضا أن هذا النوع من الأدب ليس سطحيا ولا بسيطا بل يحمل في طيّاته قضايا إنسانية عميقة وبناء فني مميز.

ثانيا- بدايات أدب الطفل:

شاعَ أدب الأطفال منذ العصور القديمة، حين كانت الأمّهات تروين حكايات الأساطير والخرافات لأطفالهم قبل النوم. كانت هذه القصص التي تدور حول الخوارق والأبطال، تثير خيال الأطفال وتجذبهم، إذ يتقمّص كل طفل دور بطل القصة في مخيلته. وقد اعتنى المصريون القدماء بتوثيق حياة الأطفال وأدبهم من خلال النقوش والصّور على جدران القصور والمقابر. أمّا في العصر الإسلامي، فقد كان للقصص دور كبير كوسيلة للتوجيه والهداية، حيث استخدمها القرآن الكريم كإحدى أدوات التعليم. وكان الأطفال من بين المستمعين لهذه القصص، ومن أبرزها قصص الأنبياء، وعلى رأسها قصة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، إلى جانب قصص عن الدين والسلف الصالح. وقد وجدت هذه القصص اهتماما كبيرا من قِبل الأطفال وشدّتهم إليها. وفي أوروبا، قبل اختراع الطباعة، كانت كتب الأطفال تُعدّ بشكل رئيس لغرض التعليم، وكتبها رجال الكنيسة لاستهداف أطفال الأسر الغنية. وفيما يلي سنتناول نشأة هذا الأدب في كل من أوروبا والوطن العربي بمزيد من التفصيل.

1- أدب الأطفال في أوروبا:

ظهر أدب الأطفال في الغرب قبل حوالي أواخر القرن السادس عشر، وتمحورت النّصوص حينها بشكل رئيس حول المواضيع التعليمية والأخلاقية. ففي القرنَيْن السادس عشر والسابع عشر، طُرح كتاب بعنوان "ألعاب ومسرات الطفولة" عام 1657، وتبعه كتاب "العالم المرئي في صور" لجون إيموس كومينيوس عام 1658. وفي عام 1697 ظهرت مجموعة "حكاية أمي الإوزة" التي ألّفها الكاتب الفرنسي "تشارلز بيرو"، وهي عبارة عن قصص شعبية قام بتحويلها من التراث الشّفهي إلى نصوص مكتوبة (موسى و الفيصل، 2000، صفحة 13).

لم يكن هناك أدب مخصّص للأطفال، بل كانوا يعتمدون على رواية الحكايات الشّعبية، والأساطير الشفوية التي تناقلتها الأجيال مثل: (حكايات الحيوان، والقصص الشعبية مثل حكايات الجنيات). أما مع بداية القرن السابع عشر ألف الكاتب الفرنسي" شارل بيرو" كتابه الشهير "حكايات الماضي" سنة 1697، واحتوى قصصا مثل سندريلا، ذات القبعة الحمراء، ويعدّ شارل بيرو المؤسّس الأوّل لأدب الأطفال في فرنسا.

وفي ألمانيا ظهر الأخوان يعقوب غريم ووليم غريم اللذان ألفا "حكايات الأطفال والبيوت"، وهذه القصص مستوحاة من قصص الخرافة في أوروبا، وتعد من قصص التراث الشّعبي الألماني، كما أنها تحتوي على مجموعة من القصص العالمية مثل "بيضاء الثلج"، "ليلى والذئب" "الأميرة النائمة"، والدانماركي هانز أندرسون الذي كتب قصّة "البطة القبيحة".

وفي بريطانيا، بعد تحرّرها من عباءة الوعظ والإرشاد أخذت الأعمال الموجّهة للطفل حيزا ضمن الكتابة الأدبية منذ صدور الترجمة الإنجليزية لأعمال "تشارلز بيرو" بواسطة "روبرت شامبرز"، ثم أخذ هذا الفنّ يتّسع ليجذب أسماء على غرار"تشارلز لامب"، "لويس كامل"، "تشارلز ديكنس"، و"جورج إليوت"، ثم "بيتر دكنسون" صاحب قصّة "الصقر الأزرق" الحائزة على جائزة أدب الطفل ل سنة 1977م، ولويس كارول الذي نشر قصته "أليس في بلاد العجائب" (موسى و الفيصل، 2000، الصفحات 13-14). وفي روسيا تعود ريادة دعم الناشئة الرّوس إلى "ألكسندر بوشكين" صاحب قصيدة "الصياد والسّمكة"، وأيضا الكاتب الشهير "ليف تولستوي" الذي كتب للأطفال قصصا هادفة تدعو إلى السلام والمحبة، ثم "مكسيم غوركي"، ثم "مايا كوفسكي"، و"إيفان كري لوف" (موسى و الفيصل، 2000، صفحة 17).

2- أدب الطّفل في العالم العربيّ: النشأة والتحوّلات، والتحدّيات المعاصرة:

يرى بعض الباحثين أنّ أدب الأطفال ظهر متأخرا بالمقارنة مع نظيره في الغرب، ومع ذلك شهد هذا الأدب تطورا ملحوظا لاسيّما خلال عصر النهضة الأدبية، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل رئيسة أبرزها انتشار الترجمة، وازدهار دور النشر والطّباعة والمجلات.

يقول الأستاذ "عبد التواب يوسف" إنّ أدب الأطفال في بلادنا حديث، وإن كانت جذوره تمتدّ إلى مصر القديمة" (بريغش، 2006، صفحة 77)، أدب الأطفال كان معروفا منذ القدم من خلال القصص والسير والحكايات الشعبية، بالإضافة إلى الأشعار والقصص الدينية التي كانت تهدف إلى غرس القيم الإسلامية في نفوس الأطفال، ومع قدوم عصر النهضة، أبدى "رفاعة الطهطاوي" اهتماما كبيرا بهذا النوع من الأدب، حيث أرسل خطابا إلى وكيل الحكومة المصرية في لندن يشير فيه إلى أهمّية هذا المجال، وبأن "يرسل كتبا مطبوعة ومؤلفة للصغار والتلاميذ بحث تميل أذهانهم إليها" (الحديدي، 1989، صفحة 241)، وظهرت الملامح الأولى لأدب الطفل كفنّ على يد أمير الشعراء "أحمد شوقي"

(1868-1932م)؛ حيث قام بتأليف قصائد شعرية موجهة لهذه الفئة العمرية، مثل قصائد "الصياد والعصفورة"، "الديك الهندي"، و"الدجاج البلدي". وقد ضمّن هذه القصائد في ديوانه الشهير "الشوقيات"، الذي نُشر عام 1898م.

يقول "شوقي" عن الحكايات والأغنيات التي كتبها للأطفال: "وجرّبت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب (لافونتين) الشهيرة، وأتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المستحدثة، منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة من خلالها على قدر عقولهم" (شوقي، 1898، صفحة 05)، فالكاتب أحمد شوقي من أوائل الأدباء الذين أدركوا أهمّية أدب الأطفال، وأعدّوه وسيلة فعّالة للتّعليم والتسلية. لذا قام بتأليف أشعار وكتابة قصص واضحة تصوّر مجتمعهم، وتتناول المشكلات الحياتيّة التي قد يواجهونها.

يُعدّ "كامل الكيلاني" من الكتّاب الذين يتمتّعون بوعي عميق؛ حيث تميّزت كتاباته بالبساطة والوضوح، مما جعلها قريبة من ذهن الطّفل، واعتمد على توظيف قصص الحيوانات لإضفاء طابع مشوّق وممتع، وسعى من خلالها إلى تطوير ذوق الأطفال وتعزيز إحساسهم بجمال اللغة وتأثيرها القويّ. هذه السّمات الفريدة التي تميّز بها جعلته رائدَ أدب الطفل في الوطن العربيّ في العصر المعاصر.

ثم توالت جهود الأدباء في تطوير أدب الطفل، من خلال كتابة الشّعر والقصص التي غالبا ما اعتمدوا فيها على إعادة صياغة قصص التراث بأسلوب يلاءم الأطفال، عبر التّلخيص والتّبسيط، وإضافة عناصر التشويق والمتعة. كما سعت هذه الأعمال إلى مواكبة روح العصر أحيانا، وغالبا ما نُقلت أحداث هذه القصص من خلال شخصيات الحيوانات، والكاتب المصري "كامل الكيلاني" من بين الأدباء الذين اهتمّوا بأدب الأطفال اهتماما كبيرا، وخصص له سلسلة قصصية مختلفة، موجّهة لفئات عمريّة مختلفة.

ثالثا- ملامح القصّة الموجّهة للطفل في الأدب العربي المعاصر:

تعدّ القصة للأطفال وسيلة أدبية تجمع بين التعليم والمتعة بأسلوب محفز، إذ تتميّز بطابعها الفريد الذي يحمل رسائل مفعمة بالأمل ويفتح آفاق الخيال الواسع أمام الطّفل. تتيح القصة للطفل فرصة لفهم أحداثها، واستخلاص العبر والدروس التي تحتويها بين طياتها. كما تحظى القصة بمكانة بارزة في أدب الطفل، نظرا لاتّساع خيالها وطريقتها، وهي "شكل فنّي من أشكال أدب الطّفل فيه مجال ومتعة وخيال والقصة من أحبّ ألوان الأدب للأطفال، ومن أقربها إلى نفوسهم وهي عمل فني له قواعد وأصول ومقوّمات وعناصر فنيّة" (أبو معال، 2005، صفحة 131)، وعليه فإنّ القصة هي فرع من فروع الأدب يوجّه للأطفال، ويتميّز بلغة وأسلوب ومحتوى مناسب لهم كما يوفّر لهم أيضا مساحة للتفكير، ومتعة القراءة انطلاق خيالاتهم، مما يجذبهم ويشجّعهم على التفّاعل مع هذا الفنّ.

والقصّة ليست مجرّد حكاية عشوائية، بل هي عمل أدبي يكتب وفق أسس فنيّة مثل البناء الدّرامي، الشّخصيات الزمان والمكان، الحبكة والحل، وغيرها من العناصر التي تمنح القصة شكلها الفني المتكامل.

1- دراسة تحليليّة لقصة" ليلى والذئب" و"في بلاد العجائب"لكامل الكيلاني:

1-1 قصّة ليلى والذئب:

هذه القصة من روائع الأدب العالمي تُرجمت إلى لغات مختلفة، أعاد الكاتب صياغتها وقدّمها وفق أسلوب يناسب الأطفال ضمن مشروعه القصصي الذي عكف على إنجازه طوال سنوات. تتألّف هذه القصة من عشرة مقاطع سردية كل مقطع له عنوان، كذلك على مشاهد مرسومة تترجم المقطع الذي وضعت معه بالإضافة إلى عنوان يوثّق هذه الصّورة.

تدور أحداث هذه القصة حول الفتاة الصغيرة ليلى الملقبة ب"ذات الرداء الأحمر" التي ترسلها والدتها لبيت جدتها لتأخذ لها الكعك الذي أعدته، وفي طريقها إلى بيت الجدة تنحرف عن طريقها وتدخل الغابة من أجل قطف الأزهار كهدّية لجدتها، فتتقابل مع الذئب الماكر الذي يخدعها ويسبقها إلى البيت، ثم يتنكر بثياب الجدة ويحاول الانتقام منها لأنه لم يجد ما أخبرته به، تتسلل الجدة هاربة إلى مكان عمل ولدها وتخبره بما يحصل، فيأتي مسرعا ويضرب الذئب ويقطع ذيله. ولهذه القصّة جانبين، أحدهما يتعلّق بجذب الطفل وإثارة شغفه، والثاني متعلّق بالجانب التربوي والأخلاقي، وهذا ما سنفسّره في الآتي:

أ. العناصر الأساسية للقصة: تتكوّن من:

1- الموضوع الرّئيس أو الفكرة:

المقصود به الرسالة، أو المعنى العام الذي تسعى القصة إلى إيصاله للطفل من خلال الأحداث والشخصيات والمواقف، كما يعدّ العنصر المحوري الذي تتشكل عليه باقي العناصر، ويمكن القول إنّ "الموضوع هو العمود الفقري للقصة، يجب أن تتضمن الفكرة الأمور الأساسية التي تهدف إليها في تربية الطفل، فضلا عن إثارة انتباهه، وجذب اهتمامه للقصة ومن المهم أن تتسم الفكرة بالصدق الذي يترك أثره في الطفل خلال قراءته أو سماعه لها" (إسماعيل، 2004، صفحة 123)، والموضوع الرئيس لقصة "ليلى والذئب" هو عدم الثقة العمياء بالغرباء. صحيح أنّ هذه القصّة تحقق الإمتاع والترفيه للأطفال، وتساعدهم على تنمية الخيال من خلال تصور الأحداث بين ليلى والذئب المتوحش والجدة الطاعنة في السّن، ويمكن قراءتها أيضا من زوايا تربوية واجتماعية تجسدها الأفكار الفرعية المصاحبة للموضوع الرّئيس، كطاعة الوالدين والأخذ بنصيحتهم والحذر من المظاهر والشجاعة في المواقف الصعبة.

2- الحدث أو الحبكة:

الحبكة أو الحدث من العناصر الأساسية في بناء القصّة، إذ تمثل الإطار الديناميكي الذي تتحرّك ضمنه الشّخصيات في فضاء مكاني وزماني تتطور عبره أحداث الموضوع" والحبكة أو الحادثة هي المشكلة التي تتأسس عليها القصة، وفي الحبكة يظهر الصراع والتفاعل بين أبطال القصة وتتأزم الأحداث، ويستمر الأمر في التأزم حتى يبلغ القمة أو الذروة وينتهي عادة بحل مريح" (إسماعيل، 2004، صفحة 126)، تسلسل الأحداث في القصة من البداية إلى الذّروة ثم الحلّ، وذلك يتطلب حبكة مترابطة تدفع بأحداث القصة إلى مرحلة التأزّم ثم النّهاية، والحبكة في هذه القصة بسيطة لكنها واضحة بُنيت على عنصر التشويق والتحوّل من الأمان إلى الخطر. وهذا ما يجعل الطفل متشوّقا إلى معرفة مزيد من الأحداث، والفضول للتعرّف على مصير ليلى وجدّتها.

بداية القصة كانت بصنع الكعك الذي أعدّته أمّ ليلى، وأرادت أن تتذوق والدتها العجوز منه، لكنها خشيت الخروج؛ لأنّها لم تستأذن زوجها، تتواصل أحداث القصة"أم ليلى نادت ابنتها وقالت لها: هل تذهبين يا ليلى إلى بيت جدتك، ومعك سلة فيها نصيبها من كعكنا؟

فقالت ليلى: نعم يا أمي أنا مشتاقة لرؤية جدّتي.

فقالت لها أمها: خلي بالك للطريق، وكوني منتبهة، وأنت ماشية. حافظي على نفسك، وسلمي على جدتك" (الكيلاني، ليلى والذئب، 2011، صفحة 06).

عندما دخلت ليلى إلى الغابة من أجل قطف الأزهار لجدّتها، تجاهلت نصيحة والدتها بأن تنتبه جيدا للطريق ولا تنحرف عن مسارها" أنساها الفرح أن أمها نصحت لها بأن تخلي بالها للطّريق وتكون منتبهة، ولا تشتغل بشيء آخر. لم تلتفت إلى أن دخولها وحدها في الغابة يعرضها للخطر.

دخلت الغابة، تتطلع إلى الأشجار، لتقطف منها الأزهار.

وفجأة رأت الذئب.. لم يكن بينها وبينه إلا خطوات" (الكيلاني، ليلى والذئب، 2011، صفحة 08)، هنا وصلت الأحداث إلى مرحلة الصراع بانحراف "ذات الرداء الأحمر" عن الطريق ودخولها الغابة ومقابلتها للذئب الماكر.

ثم يتفاقم الصراع وتتصاعد الأحداث، عندما يخدع الذئب ليلى "فقال لها الذئب الماكر: لماذا يحرسك الكلب؟

إن كنت خائفة، فأنا أحرسك

اطمأنت ليلى لكلام الذئب الماكر، وقالت له: هل تبقى تؤنسني، حتى أقطف الزهور، وأخرج من الغابة"(الكيلاني، ليلى والذئب، 2011، صفحة 09). حاول الذئب الماكر على خداع ليلى والتودّد إليها من أجل الحصول على معلومات تخصّ المكان الذي ستذهب إليه يقول: "تودّد إليها الذئب وأخذ يتحدث معها ليعرف أخبارها.

سألها: أين أنت ذاهبة؟

فقالت له ليلى: أنا ذاهبة إلى جدتي، لأقدم لها كعك العيد.

سألها الذئب الماكر: أين تسكن جدتك؟

فقالت له: تسكن في آخر الطريق وراء الطاحونة البيضاء" (الكيلاني، ليلى والذئب، 2011، صفحة 10).

3- الذروة:

عند وصول ليلى إلى بيت جدتها، وجدت الذئب متنكرا في ثياب جدتها" دخلت ليلى المنزل. واجمت الذئب وهو في ثوب الجدة! تعجبت ليلى، لاحظت أن الشخص الذي أمامها فيه غرابة. إنه يختلف اختلافا كبيرا عن شخص جدتها...

سألت: الذّراعان طويلتان لماذا؟

لأعانقك بهما عناقا جيدا

سألت الساقان طويلتان لماذا؟

لأجري بهما جريا جيدا" (الكيلاني، ليلى والذئب، 2011، صفحة 14).

4- الحلّ (النهاية):

تذهب الجدة إلى ابنها في مكان عمله (الطاحونة البيضاء) وتخبره بما حصل ويأتي مسرعا" خال ليلى أمسك بفأس كبيرة، وجرى إلى المنزل.. فلما وصل إلى بابه، زعق بأعلى صوته: من هنا؟

فلما سمع الذئب صوت الخال وهو يزعق، فرّ هاربا بأقصى سرعته، بعد أن ضربه الخال الشجاع ضربة قوية بالفأس، قطعت ذيله، فأخذ يعوي عواء شديدا ملأ الأرض والسماء" (الكيلاني، ليلى والذئب، 2011، الصفحات 16-17).

ب. الشّخصيات والدّلالات الرّمزية:

من أهمّ عناصر القصّ، غالبا ما تكون رمزية، "وقد تكون الشّخصية حقيقية أو رمزا قريبا من الحقيقة، وقد تكون من عالم الإنسان وقد تكون من عالم الحيوان أو عالم النبات" (بريغش، 2006، صفحة 220)، يولي الأديب عناية بشخصيات قصصه، لأن ذلك يسهم في الإقبال عليها خاصة إذا تعلق الأمر بالشخصيات التي تلعب دور الشر والخير، الشجاعة والخوف، الأمل والفشل، كلها تساعد على زيادة التشويق والإثارة لدى الطفل.

اهتم الكيلاني بشخوص قصّته، وجعلها تتواءم مع الأبعاد الموضوعية للحكاية الأصلية مع تغيير طفيف، إذ أُدرِج شخصية"الخال" بدل الصياد في القصة الأصلية، وأبقى على بقية الشّخصيات التي ترمز إلى:

- **الذئب رمز للشّر والخداع:** تعكس شخصية الذئب في هذه القصة الخطر الخارجيّ الذي يهدد الأطفال في حال غياب التوعية الكافية لهم، ولهذا لا بدّ من الحذر وأخذ الحيطة من الغرباء. وقد اعتمد الكاتب في رسم ملامحه على ذكر صفاته كالخبث، والخداع والمكر.
- **ليلى رمز للبراءة:** تشير ليلى إلى الطفولة البريئة الحالمة والمحبة لكنّها قد تتعرّض للأذى؛ نتيجة قلّة الخبرة، أو الثقة المفرطة في الآخرين، وتعكس هذه الصّفات براءة الأطفال، وإمكانية تعرّضهم للخطر النّاجم عن إهمالهم، أو قلّة فطنتهم.
- **الجدّة:** الجدة توحي إلى الحكمة والخبرة والدهاء، لكنها في هذه القصّة ضحية لتهوّر حفيدتها، ممّا يرمز إلى أنّ الشّر قد يطال الجميع دون استثناء.

ج. الأسلوب واللغة:

منذ البداية اتّخذ كامل الكيلاني نهجا متفردا وواضحا، أضفى عليه طابعا خاصّا ميّزه عن غيره، ليصبح بذلك رمزا بارزا في أدب الأطفال، هذا النهج الذي سار عليه رسخ مكانته في هذا المجال في مصر والعالم العربي. ولابدّ للكاتب من اختيار الأسلوب المناسب الذي يتّفق مع مستوى الأطفال، وقدراتهم وخبراتهم وهو بحاجة إلى التعرّف على قاموس الأطفال المناسب لكل فئة عمريّة؛ واستخدام ألفاظ مناسبة يختارها بعناية" (بريغش، 2006، صفحة 221)، فالكيلاني هنا لم يكتفِ بإعادة سرد القصّة؛ وإنما جعل من اللّغة وسيلة لإثراء القاموس اللغوي للطفل وخدمة للأغراض التربوية لتعزيز الذوق وتحفيز الخيال والفكر، ويمكن جمع ما تقدم في النقاط الآتية:

- اعتماد اللّغة العربية الفصحى، والكتابة بأسلوب يُسهم في تعزيز القدرات اللّغوية للطّفل.
- تركيزه على انتقاء كلمات وجمل واضحة، مع الاعتماد على المفردات ومعناها للتّوضيح أكثر,
- أسلوبه سلس يجذب الطفل ويشجّعه على التّفاعل مع أحداث القصص..
- الابتعاد التامّ عن اللهجة العامية لضمان محتوى لغوي فصيح.
- الاعتماد على الصّور والرّسومات لجذب انتباه الطّفل.

د. القيّم التربوية والتعليميّة:

حرص الكيلاني على غرس القيم التالية:

- الحذر من الغرباء وعدم الثقة بهم مهما كانت الأسباب والدوافع.
- طاعة الوالدين والأخذ بنصيحتهم.
- عدم الانحراف عن الطّريق.
- الاعتماد على الشّجاعة والخير لمواجهة الشر(دور الخال في النهاية)؟

2-1 قصة في بلاد العجائب:

في بلاد العجائب: قصّة مليئة بالخيال والعبر التّربوية، وتعتمد على الأسلوب السّردي الذي يجمع بين التّشويق والتّعليم في آن واحد، تدور أحداث هذه القصّة حول طفل يدعى "لافظ" يعيش في عالم خيالي مختلف عن عالمنا، يلتقي بفتات تدعى "لاحظة" التي أصابها الفضول لمعرفة ما يوجد داخل الصندوق الذي يوجد داخل بيت لافظ الذي يمنعها بدوره عن معرفة ما يوجد به وينصحها باللعب والكف عن السؤال، وعندما تقرر "لاحظة" فتح الصندوق تخرج منه حشرات غريبة ويصبح عالمهم مليء بالمخلوقات العجيبة، وقد يكون هذا العالم العجائبيّ الذي تكلم عنه لا يرمز مباشرة إلى الواقع كما يراه الطفل، بل تمثيلا لتجربة حياتية تتضمّن الصّراع بين الخير والشّر وبين الجهل والمعرفة وبين الخيانة والوفاء.

أ. العنوان "في بلاد العجائب":

يتكون العنوان من ثلاث مفردات: "في" حرف جر، "بلاد" اسم مكان، العجائب" ما يثير الدهشة والفضول لدى الطّفل، فالعنوان في ظاهره يُشير إلى مكان غير مألوف أو استثنائي تحدث فيه أمور خارجة عن المألوف، وهو ما يفتح بابا واسعا للخيال ويجذب الطّفل إلى التعرف على هذا المكان البعيد وغير المألوف بالنسبة له،. تتحوّل بلاد العجائب من الواقع إلى الخيال المليء بالدهشة والمغامرة، كما أنّ هذا العنوان غير محدّد بزمن معيّن مما يخلق له صفة الاستمرارية.

ب. الخيال القصصيّ:

يُؤدّي الخيال دورا مهمّا في العمل القصصي الموجّه للطّفل، وقد أبدع الكاتب في توظيفه من خلال القصص الأسطورية التي تحمل خيال خصب، ومعانٍ معرفية وأخلاقية، تلبّي ميول الطّفل، وتستجيب لحاجاته النفسية، عبر سرد ظاهره ترفيه وباطنه عبر وفوائد.

قسّم "كوليريدج" الخيال إلى نوعين: "الخيال الأولي، والخيال الثانوي والخيال الأولي هو القوة الحيوية والعامل الأول في كل إدراك إنساني، وهو علمي في وظيفته...، أما الخيال الثانوي فهو صدى للخيال السابق، ويصطحب دائماً بالوعي الإرادي، وهو يتفق مع الخيال الأول في نوع عمله، ولكنه يختلف عنه في درجته وطريقة عمله، لأنه يحلل الأشياء، أو يؤلف بينها، أو يوحدها، أو يتسامى بها ليخرج من كل ذلك بخلق جديد، مجاله الفن" (هلال، 1973، صفحة 390)، فالخيال عبارة عن قدرة ذهنية وملكة فكرية تدفع المبدع إلى عرض أفكاره وفق معانٍ وألوان فيها طابع كتابة جديد يثير مخيلة القارئ ويستهويها للغوص أكثر في الأحداث المعروضة.

قدّم "الكيلاني" عديد المقاطع التي تدلّ على الخيال القصصيّ، يقول: "تلك البقعة البعيدة من الأرض اسم: بلاد العجائب، لأن كل ما فيها كان عجيبا، لا يصدّقه العقل، كما تحدثنا بذلك الأساطير، والأخبار الخيالية القديمة" (الكيلاني،

2011، صفحة 05)، تظهر في هذا المقطع السردي سمات العجائبية من خلال نقل القارئ إلى فضاء جغرافي غير مألوف، وبأنّه مكان لا يمكن الوصول إليه أبدا لأنه لا يشبه عالمنا الذي نعيش فيه، مما يعزّز حضور الخيال بقوّة، ويُشوّق المتلقي إلى خوض غمار هذه القصّة.

يستمرّ الكاتب في تأسيس عالمه الفنتازي بالاستناد على عنصر الخيال، الذي يعيد تشكيل الزمان والمكان البعيدين عن واقعنا "ليعرفوك طريقها، ولكنهم عجزوا عن الاهتداء إليها، ولم يوفقوا إلى مكانها. ولعل السبب في ذلك هو: تقادم العهد(بعد الزمن) على تلك البلاد البعيدة عن سكان الدنيا. على أنّ الأسطورة تخبرنا: أن غلاما اسمه لافظ قد نشأ في بلاد العجائب من غير أم ولا أب، كما تنشأ الأطفال جميعا في تلك البلاد كلها" (الكيلاني، 2011، صفحة 05)، ولا يكتف الخيال هنا بتجاوز الواقع، بل يولد أيضا نوعا من الغرائبيّة كنشأة الطفل لافظ من غير أب وأمّ، وكلّ هذه الأمور تثير دهشة القارئ الصّغير.

ثم يواصل عرض عالمه الأسطوريّ"كان "لافظ" و"لاحظة" يعيشان في بلاد العجائب منذ آلاف السنين. وكانت الدنيا- في ذلك العصر السحيق (الزمن القديم)- غير دنيانا هذه التي نعيش فيها. وكان العالم- حينئذ- لا يعرف الشر، ولا يشعر ساكنوه بالألم، ولا يلم المرض بهم (لا يصيبهم)، ولا يتعرضون لأي خطر كائنا ما كان" (الكيلاني، 2011، صفحة 06)، يجمع هذا المقطع بين عنصر الزّمن المتمثّل في الزمن الأسطوري (الماضي الموغل في القدم) الذي تكثر فيه القوى الخارقة والكائنات العجيبة، والمكان الغريب أيضا الذي يُشبه المدينة الفاضلة، ولا يسوده الشّر والألم والحزن، فهذا العالم السّحري المثالي يدل على روعة الخيال، وقدرة الكاتب على سحب الطّفل لعالمه القصصيّ المنفرد.

ج. المضمون:

المطّلع على هذه القصّة يجد أن الكاتب قد اختار موضوعا له أهداف ومرامٍ، وقد برع في استخدام الخيال عبر عناصر القصّ (الشّخصيات والأحداث)، واستلهم قصص الأساطير، ونسج قصة خيالية بطلها" لافظ" و"لاحظة"، الطّفلان اللّذان يعيشان في بلاد العجائب، وفي هذه البلاد البعيدة لم يكن فيها حزن ولا ألم.

قسّم الكاتب قصّته إلى مجموعة من الأقسام، عَنون كلّ قسم بما يتناسب مع طبيعة الأحداث المسرودة، وربط بين جميع هذه الوقائع والأحداث بشخوص وصور، أمّا عن الأقسام نذكر:

بيت لافظ، الصّندوق المقفل، حياة السّعداء، بدء الشّر، حوار لافظ ولاحظة، عطارد، سخط لاحظة، آخرة الفضول حلّ العقدة، تردد لاحظة، هدية لافظ، مقدم لافظ، فتح الصندوق، أسرة الّشر، تفاقم الأذى، هاتف الصّندوق، ابتسامة الأمل، حديث الأمل، خاتمة القصّة.

"تبدأ هذه القصة حين كان العالم الذي نعيش فيه– أول نشأته- طفلا، فقد كانت الدنيا في ذلك الحين- منذ آلاف السنين- في طفولتها، أعني: أنها لم تكن آهلة عامرة بالسكان والبلدان"(الكيلاني، 2011، صفحة 05)، وهذا ما يشد رغبة الطّفل في التنقّل إلى عوالم جديدة، فيها كثيرا من الغموض والغرابة، كما تأسره أيضا الحكايات الخرافيّة التي فيها الكائنات الغريبة، والأرواح الشّريرة.

فضول الطّفلة "لاحظة" جعلها تُعاني الأحزان والأوجاع "وكانت لاحظة لسوء الحظّ أول طفلة عرفت الحزن في تلك البلاد. وكان مقدم هذه الطفلة الغريبة عن بلادها البعيدة مصدر شقاء العالم، وسبب نكباته التي نشكو منها على الآن" (الكيلاني، 2011، صفحة 08).

حرص الكاتب على توظيف المضامين الأخلاقية والتربوية، كما انتهج أسلوبا مُشوّقا ممتعا حول مصير شخصيات قصّته، وأثار خيال الطّفل، ففضول لاحظة انتهى بها إلى نهاية مأساويّة، وحياة مليئة بالرعب والمخاوف والشّر، وسكوت لافظ وموافقته لقرار لاحظة الخاطئ جعله أيضا يدفع ضريبة باهظة؛ لأنّه سكت على خيانة الأمانة، ولم يلتزم بوعده للملك "عطارد".

د. عنصر التّشويق والجذب:

استطاع الكاتب في هذه القصّة أن يثير خيال الطّفل ويدفعه إلى التّفاعل معها، بقدرته على صوغ أحداثها بأسلوب مشوق يجمع بين بساطة اللّغة ووضوحها وعمق مغزاها، "فقالت له "لاحظة": فلا أقلّ من أن تخبرني: كيف عثرت على هذا الصندوق في بيتك؟

فقال لها "لافظ": لن أضنّ (لن أبخل) عليك بالإجابة عن هذا السؤال- فاعلمي يا عزيزتي- أن ملكا (روحا سماويا)- من الملائك- قد جاءني بهذا الصندوق، ووضعه في بيتي وطلب مني أن لا أفتحه" (الكيلاني، 2011، صفحة 10)، فالتشويق هنا يتجسّد من خلال الغموض الذي تطرحه القصّة حول هذا الصّندوق الغامض الذي لا يعرف أحد ماذا يوجد بداخله، والملاك السّماوي الذي أحضره يخلق تساؤلات عديدة في ذهن الطّفل الذي يبحث عن ما بداخل الصّندوق ويبدأ بتخميناته أهو هدية مثلا؟ أم كنزا، أم هو لباس ملكي؟، ولماذا أحضره الملاك ولم يحضره أحد غير؟ ومن يكون هذا الملك السّماوي وما هي صفاته؟ وهنا يوهم الكاتب القارئ بأنّ مواصلته لقراءة القصة واستيعاب أحداثها ستخبره بما يبحث عنه دون شك، ففعل المنع واستعمال العناصر الخارقة يساهم في زيادة التّشويق يقول: "وكان في يده عصا جميلة الشكل. وهو– كما رأيته- مثال للوداعة واللّطف والذّكاء... ولو رأيت هذا الملك لدهشت من جناحيه الشافين (الرّقيقين) الطّريفين، وأعجبت بما فيهما من الريش الفاخر، المتألق نورا" (الكيلاني، 2011، صفحة 10).

زاد التّفاعل الحواري بين بطلي القصّة "لافظ" و"لاحظة" في تشويق القارئ الصّغير وتحفيز خيالاته، عن طريق استخدام الوصف البصريّ الجذاب، فذكر أوصاف هذا الملك وهيئته (جناحيه المتألقين بالنور، عصاه، صفات الوداعة، واللّطف، والذّكاء) يخلق مفارقة جذابة من خلال تقديم شخصية غير مألوفة تنتمي إلى عالم مغاير؛ لكنّها تتّصف باللّطف والقداسة، فالتّشويق في قصة بلاد العجائب ليس مجرّد وسيلة لإبقاء الطفل مشدودا للنص، بل هو أداة تربويّة سعى من خلالها الكاتب إلى تنميّة خياله، وحسّ لمغامرة والاكتشاف لديه.

ومن الناحيّة السردية اعتمد القاصّ في بناء شخصياته وأحداث قصصه على عنصر التّشويق المستمدّ من الخيال، إلى جانب البعد التربويّ الذي تجسّده القيم الأخلاقية المطروحة في هذه القصص. وأكثر ما يلفت الانتباه هو براعته في تجسيد الصّور والمواقف المراعيّة لمشاعرَ الطّفل وطاقاته الذّهنية، فتقديم الواقع المرئيّ بهذه البساطة والدّقة في آنٍ واحدٍ يتطلّب قدرة إبداعيّة، ونفسا سرديا طويلا. كما أنّ نجاحه في التّأثير والوصول إلى وجدان الطّفل وإثارة تفاعله بما يقرؤه، يعدّ دليلا واضحا على جودة الكتابة القصصيّة.

الخاتمة:

1- تبيّن من خلال دراستنا التحليلية لقصّتي "ليلى والذئب" وفي "بلاد العجائب" أنّ الأدب القصصيّ الموجّه للطّفل لم يعد مجرد وسيلة للتّرفيه، بل هو فنّ مهمّ في التنشئة الفكرية والتربوية والنفسية للطّفل، الذي يجد مساحة للقراءة والتّثقيف والمتعة من خلال هذه القصص الهادفة.

2- يساهم البناء الفنيّ المحكم، والأسلوب المتمكّن من قواعد اللغة في تطوير القاموس اللّغوي للطّفل، وإثرائه بمفردات جديدة، فطريقة الكيلاني في عرض مفردات مقابلة للمعنى فكرة جيدة، حاول من خلالها عرض أكبر عدد ممكن من المفردات المتساوية في المعنى.

3- كشفت قصة "ليلى والذئب" عن محاولة الكيلاني دمج الطّفل العربي مع القصص العالميّة بأسلوب خاصّ، ولغة عربية تحاكي اللغة الأصليّة للقصّة، إذ ساهمت هذه القصّة في إيقاظ وعي الطّفل، وتوضيح خطورة الثقة العمياء، بينما أظهرت قصة" في بلاد العجائب" قدرةَ الكاتب على خوض مواضيع أسطوريّة تجنحُ بخيال الطّفل نحو عوالم بعيدة، وفي الوقت نفسه غرس القيم الأخلاقية فيه، كالصبر، والأمانة، واحترام رأي الآخرين وتقبّله.

4- اتّضح من خلال القصّتين أنّ الكاتبّ جمع في قصصه بين الترفيه وإشباع رغبات الطّفل وفضوله، وبين المضمون التربويّ العميق الذي يساهم في تعديل سلوكه بطريقة غير مباشرة، عبرَ أدوات فنية وخيالية جذّابة حقّقت التكامل بين السّرد والرّسالة التربويّة.

5- إنّ استثمار عنصري الخيال والتّراث الأسطوريّ يساهم في جذب الأطفال وتفاعلهم الإيجابيّ مع مضمون القصّة، وهذا ما يحقّق المتعة والفائدة.

6- إنّ تجرِبة الكاتب "كامل الكيلاني" تجرِبة ثريّة وغنيّة، وظّف فيها القيم التربويّة والجانب الخياليّ، واهتمّ بالطّفل اهتماما كبيرا، وحاول مواكبة العصر عبر القضايا المتطرّق إليها، أو الجماليّات الفنيّة الظّاهرة في القصّتين.

قائمة المراجع:

أحمد شوقي. (1898). *الشوقيات (مقدمة الطبعة الأولى 1898). ط1*. لبنان: دار الكتاب العربي.

سمير عبد الوهاب أحمد. (2006). *أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية. ط1*. عمان: دار المسيرة.

عبد الفتّاح أبو معال. (2005). *أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم. ط1*. عمان– الأردن: دار الشروق.

عبد المعطي نمر موسى، و محمد عبد الرحيم الفيصل. (2000). *أدب الأطفال*. إربد– الأردن: دار الكندي.

علي الحديدي. (1989). *في أدب الأطفال. ط5*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

كامل الكيلاني. (2011). *في بلاد العجائب*. مصر: صفحات للنشر.

كامل الكيلاني. (2011). *ليلى والذئب*. مصر: مؤسسة هنداوي للنشر.

محمد حسن بريغش. (2006). *أدب الأطفال: أهدافه وسماته. ط2*. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد غنيمي هلال. (1973). *النقد الأدبي الحديث*. بيروت- لبنان: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

محمود حسن إسماعيل. (2004). *المرجع في أدب الأطفال. ط1*. القاهرة: دار الفكر العربي.

مصطفى الصاوي الجويني. (د.ت). *حول أدب الأطفال*. الإسكندرية- مصر: مؤسسة المعارف.

هادي نعمان الهيتي. (1997). *أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائطه*. القاهرة- مصر: الهيئة المصرية العامة للكتب.